ويبادي من يشتري ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها احد فاذا بارت عليه ذهب بها الى نهر فصوب فيه رؤسها وقال
اشربي استهزاء بقومه وبما هم فيه من الضلالة حتى فشا استهزاؤه بها في قومه واهل قريته وحاجه قومه يعني خاصمه
وجادله قومه في دينه قال يعني ابراهيم اتحاجوني في الله وقد هدان يعني الى توحيده ومعرفته ولا اخاف ما تشركون به
وذلك انهم قالوا احذر الاصنام فانا نخاف ان تمسك بخبل وجنون لعيبك اياها فاجابهم بقوله ولا اخاف ما تشركون
به فانها جمادات لا تضر ولا تنفع وانما يكون الخوف ممن يقدر على النفع والضر وهو قوله الا ان يشاء ربي شيئا يعني
ان شاء لي شيئا كان ما شاء لانه قادر على النفع والضر وانما قال ابراهيم ذلك لاحتمال ان الانسان قد يصيبه
في بعض حالاته وايام عمره ما يكرهه فلو اصابه مكروه لنسبوه الى الاصنام فنفى هذه الشبهة بقوله الا ان يشاء ربي
شيئا وهذا استثناء منقطع وليس هو من الاول في شيء والمعنى ولكن ان شاء ربي شيئا كان وسع ربي كل شيء علما يعني احاط
علمه بكل شيء فلا يخرج شيء عن علمه افلا تتذكرون يعني افلا تعتبرون بان هذه الاصنام جماد لا تضر ولا تنفع وان
النافع الضار هو الذي خلق السموات والارض ومن فيهما وكيف اخاف ما اشركتم يعني وكيف اخاف الاصنام التي
اشركتم بها لانها جماد لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع ولا تخافون انكم اشركتم بالله يعني وانتم لا تخافون وانتم
اشركتم بالله وهو من اعظم الذنوب ما لم ينزل به عليكم سلطانا يعني ما ليس لكم فيه حجة وبرهان فاي الفريقين احق
بالامن ان كنتم تعلمون يعني بقول منا واولى بالامن من العذاب في يوم القيامة الموحد ام المشرك الذين امنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم وهذا فصل قضاء الله بين ابراهيم وبين قومه يعني ان الذي يستحق الامن يوم القيامة هم الذين
امنوا يعني امنوا بالله وحده ولم يشركوا به شيئا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يعني ولم يخلطوا ايمانهم بشرك (ق) عن ابن
مسعود قال لما نزلت الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على المسلمين وقالوا اينا لا يظلم نفسه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك انما هو الشرك الم تسمعوا قول لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك
لظلم عظيم وفي رواية ليس هو كما تظنون انما هو كما قال لقمان لابنه وذكره قيل في معنى قوله ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم يعني ولم يخلطوا ايمانهم بشيء من معاني الظلم وذلك بان يفعل بعض ما نهى الله عنه او يترك ما امر الله به فعلى
هذا القول تكون الاية على العموم لان الله لم يخص به معنى من معاني الظلم دون غيره والصحيح ان الظلم
المذكور في هذه الاية هو الشرك لما تقدم من حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم فسر الظلم هنا بالشرك
وفي الاية دليل على ان من عبد الله لا يشرك به شيئا كانت عاقبته الامن من النار لقوله اولئك يعني الذين امنوا
ولم يلبسوا ايمانهم بظلم لهم الامن يوم القيامة من عذاب النار وهم مهتدون يعني الى سبيل الرشاد قوله تعالى
وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه يعني ما جرى بين ابراهيم وبين قومه واستدل على حدوث الكوكب
والقمر والشمس بالافول وقيل لما قالوا لابراهيم انا نخاف عليك من الهتنا لسبك اياها فقال لهم افلا تخافون انتم
منها اذ سويتم بين الصغير والكبير في العبادة ان يغضب الكبير عليكم وقيل انه خاصم قومه المشركين فقال اي الفريقين احق بالامن
من يعبد الها واحدا مخلصا لله الدين والعبادة ام يعبد اربابا كثيرة فقالوا من يعبد الها واحدا فقضوا على انفسهم فكانت
هذه حجة ابراهيم عليهم نرفع درجات من نشاء يعني بالعلم والفهم والعقل والفضيلة كما رفعنا درجات ابراهيم حتى اهتدى
الى محاجة قومه وقيل نرفع درجات من نشاء في الدنيا بالنبوة والعلم والحكمة وفي الاخرة بالثواب على الاعمال الصالحة ان
ربك حكيم عليم يعني انه تعالى حكيم في جميع افعاله عليم بجميع احوال خلقه لا يفعل شيئا الا بحكمة وعلم قوله عز وجل ووهبنا
له اسحاق ويعقوب لما اظهر ابراهيم عليه السلام دينه وغلب خصمه بالحجج القاطعة والبراهين القوية والدلايل
الصحيحة التي فهمه الله تعالى اياها واهداه اليها عدد نعمه عليه واحسانه اليه فان رفع درجته في عليين وابقى
النبوة في ذريته الى يوم الدين فقال تعالى ووهبنا له يعني لابراهيم اسحاق يعني ابنا لصلبه ويعقوب يعني ابن

اسحاق

اسحاق وهو ولد الولد كلا هدينا يعني هدينا جميعهم الى سبيل الرشاد يعني ووفقناهم الى طريق الحق والصواب ونوحا هدينا
من قبل يعني من قبل ابراهيم ارشدنا نوحا ووفقناه للحق والصواب ومننا عليه بالهداية ومن ذريته اختلفوا في هذا الضمير
الى من يرجع فقيل يرجع الى ابراهيم يعني ومن ذرية ابراهيم داود وسليمان وقيل يرجع الى نوح وهو اختيار جمهور
المفسرين لان الضمير يرجع الى اقرب مذكور ولان الله ذكر في جملة هذه الذرية لوطا وهو ابن اخي ابراهيم ولم يكن
من ذريته فثبت بهذا ان هذه الكناية ترجع الى نوح وقال الزجاج كلا القولين جايز لان ذكرهما جميعا قد جرى وداود
هو ابن ايشا وكان ممن اتاه الملك والنبوة وكذلك سليمان بن داود وايوب هو ايوب بن موص بن رازخ بن عيصا
ابن اسحاق بن ابراهيم ويوسف هو ابن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم وموسى هو ابن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي
ابن يعقوب وهرون هو اخو موسى وكان اكبر منه بسنة وكذلك نجزي المحسنين يعني وكما جزينا ابراهيم على توحيده
وصبره على اذى قومه كذلك نجزي المحسنين على احسانهم وزكريا هو ابن اذن بن بركنا ويحيى هو ابن زكريا
وعيسى هو ابن مريم بنت عمران والياس قال ابن مسعود هو ادريس وله اسمان مثل يعقوب واسرايل وقال
محمد بن اسحاق هو الياس بن يسا بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران وهذا هو الصحيح لان اصحاب الانساب
يقولون ان ادريس جد نوح لان نوحا بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس ولان الله تعالى نسب الياس
في هذه الاية الى نوح وجعله من ذريته كل من الصالحين يعني ان كل من ذكرنا وسمينا من الصالحين واسمعيل هو ابن
ابراهيم وانما اخر ذكره الى هنا لانه ذكر اسحق وذكر اولاده من بعده على نسق واحد فلهذا السبب اخر ذكر اسمعيل
الى هنا واليسع هو ابن اخطوب بن العجوز ويونس هو ابن متى ولوطا هو ابن اخي ابراهيم وكلا فضلنا على العالمين
يعني على عالمي زمانهم ويستدل بهذه الاية من يقول ان الانبياء افضل من الملايكة لان العالم اسم لكل موجود
سوى الله تعالى فيدخل فيه الملك فيقتضي ان الانبياء افضل من الملايكة واعلم ان الله ذكر هنا ثمانية عشر
نبيا من الانبياء عليهم السلام من غير ترتيب لا بحسب الزمان ولا بحسب الفضل لان الواو لا تقتضي الترتيب
ولكن هنا لطيفة اوجبت هذا الترتيب وهي ان الله تعالى خص كل طايفة من طوايف الانبياء عليهم السلام بنوع
من الكرامة والفضل فذكر اولا نوحا وابراهيم واسحق ويعقوب لانهم اصول الانبياء واليهم يرجع انسابهم
جميعا ثم من المراتب المعتبرة بعد النبوة الملك والقدرة والسلطان وقد اعطى الله تعالى داود وسليمان
من ذلك حظا وافرا ومن المراتب الصبر عند نزول البلاء والمحن والشدايد وقد خص الله بهذه ايوب عليه
السلام ثم عطف بعاتين المرتبتين من جمع بينهما وهو يوسف عليه السلام فانه صبر على البلاء والشدة
الى ان اعطاه الله ملك مصر مع النبوة ثم من المراتب المعتبرة في تفضيل الانبياء عليهم السلام كثرة المعجزات
وقوة البراهين وقد خص الله تعالى موسى وهارون من ذلك بالحظ الوافر ثم من المراتب المعتبرة الزهد في الدنيا
والاعراض عنها وقد خص الله بذلك زكريا ويحيى وعيسى والياس عليهم السلام ولهذا السبب وصفهم بانهم من الصالحين
ثم ذكر الله من بعد هولاء الانبياء من لم يبق له اتباع ولا شريعة وهم اسمعيل واليسع ولوط فاذا اعتبرنا هذه اللطيفة
على هذا الوجه كان هذا الترتيب من احسن شيء يذكر والله اعلم بمراده واسرار كتابه قوله تعالى ومن ابائهم
يعني ومن اباء الذين سميناهم ومن هنا للتبعيض لان من اباء بعضهم من لم يكن مسلما وذرياتهم يعني ومن
ذرياتهم اي بعضهم لان عيسى ويحيى لم يكن لهما ولد وكان في ذرية بعضهم من هو كافر كابن نوح واخوانهم يعني
ومن اخوانهم والمعنى ان الله تعالى وفق بالمذكورين ومن اخوانهم وذرياتهم للهداية وخالص الدين وهو
قوله تعالى واجتبيناهم يعني اخترناهم واصطفيناهم وهديناهم يعني وارشدناهم الى صراط مستقيم الى الدين
الحق ذلك هدى الله قال ابن عباس ذلك دين الله الذي كان عليه هولاء الانبياء وقيل المراد بهدى الله معرفة

Copyright © King Saud University